# تفسير ابن كثير

قد تقدم الكلام على هذه الاية الكريمة وهي قوله : { إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك } الاية وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة وقد روى الترمذي : حديث ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة عن أبيه عن علي Bه أنه قال : ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الاية { إن ا لا يغفر أن يشرك به } الاية ثم قال : هذا حسن غريب وقوله : { ومن يشرك با فقد ضل ضلالا بعيدا } أي فقد سلك غير الطريق الحق وضل عن الهدى وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والاخرة وفاتته سعادة الدنيا والاخرة .

وقوله : { إن يدعون من دونه إلا إناثا } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : مع كل صنم جنية وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة { إن يدعون من دونه إلا إناثا } قالت : أوثانا وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وأبي مالك والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال جويبر عن الضحاك في الاية قال المشركون إن الملائكة بنات ا وإنما نعبدهم ليقربونا إلى ا زلفى قال : فاتخذوهن أربابا وصوروهن جواري فحكموا وقلدوا وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات ا الذي نعبده يعنون الملائكة وهذا التفسير شبيه بقول ا تعالى : { أفرأيتم اللات والعزى } الايات وقال تعالى : { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا } الاية وقال : { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } الايتين وقال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس { إن يدعون من دونه إلا إناثا } قال : يعني موتى وقال مبارك يعني ابن فضالة عن الحسن : إن يدعون من دونه إلا إناثا قال الحسن : الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح إما خشبة يابسة وإما حجر يابس ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهو غريب .

وقوله : { وإن يدعون إلا شيطانا مريدا } أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر كما قال تعالى : { ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان } الاية وقال تعالى إخبارا عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا { بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون } .

وقوله : { لعنه ا } أي طرده وأبعده من رحمته وأخرجه من جواره وقال : { لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا } أي معينا مقدرا معلوما قال مقاتل بن حيان : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة { ولأضلنهم } أي عن الحق { ولأمنينهم } أي أزين

لهم ترك التوبة وأعدهم الأماني وآمرهم بالتسويف والتأخير وأغرهم من أنفسهم وقوله : { ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام } قال قتادة والسدي وغيرهما : يعني تشقيقها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة { ولآمرنهم فليغيرن خلق ا } قال ابن عباس : يعني بذلك خصي الدواب وقد روي عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقتادة وأبي صالح والثوري وقد ورد في حديث النهي عن ذلك وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : يعني بذلك الوشم وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه وفي لفظ : لعن ا من فعل ذلك وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : لعن ا الواشمات والمستوشمات والناميات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق ا D ثم قال : ألا ألعن من لعن رسول ا صلى ا عليه وسلّم وهو في كتاب ا D يعني قوله : { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } وقال ابن عباس في رواية عنه ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله : { ولآمرنهم فليغيرن خلق ا } يعني دين ا D هذا كقوله : { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة ا التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ا } على قول من جعل ذلك أمرا أي لا تبدلوا فطرة ا ودعوا الناس على فطرتهم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تجدون بها من جدعاء ] وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ قال ا D : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ] .

ثم قال تعالى : { ومن يتخذ الشيطان وليا من دون ا فقد خسر خسرانا مبينا } أي فقد خسر الدنيا والاخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتها وقوله تعالى : { يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } وهذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدينا والاخرة وقد كذب وافترى في ذلك ولهذا قال ا تعالى : { وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } كما قال تعالى مخبرا عن إبليس يوم المعاد { وقال الشيطان لما قضي الأمر إن ا وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم } .

وقوله : { أولئك } أي المستحسنون له فيما وعدهم ومناهم { مأواهم جهنم } أي مصيرهم ومآلهم يوم القيامة { ولا يجدون عنها محيصا } أي ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ولا خلاص ولا مناص ثم ذكر تعالى حال السعداء والأتقياء ومالهم في مآلهم من الكرامة التامة فقال تعالى : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات } أي صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به

من الخيرات وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات { سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار } أي يصرفونها حيث شاؤوا وأين شاؤوا { خالدين فيها أبدا } أي بلا زوال ولا انتقال { وعد ا حقا } أي هذا وعد من ا ووعد ا معلوم حقيقة أنه واقع لا محالة ولهذا أكده بالمصدر الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقا ثم قال تعالى : { ومن أصدق من ا قيلا } أي لا أحد أصدق منه قولا أي خبرا لا إله هو ولا رب سواه وكان رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول في خطبته : [ إن أصدق الحديث كلام ا وخير الهدي هدي محمد صلى ا عليه وسلّم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ]